# المبحث الخامس

## أثر السياق القرآني النسقي

## فِي الدلالة على التعريف والتنكير

تعد اللغة العربية من أدق لغات العالم من حيث التمييز بين مواضع التعريف والتنكير على حسب معانيها، وهما مرهونان بدائرة الكلمة داخل السياق[١]. والتعريف: «ما دلّ على شيء بعينه»[٢].

ويقسم التعريف إلى أقسام خمس هي: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والأعلام، والأعلام التي تدخلها الألف واللام[٣].

أمّا التنكير: «ما دلّ على شيء لا بعينه»[٤]، ويقسم التنكير إلى أقسام ثلاث: (ما يطلق على القليل والكثير، يطلق على مفرد شائع دون تعيين، ما يطلق على أكثر من مفرد)[٥].

ويكون التنكير لأغراض بلاغية، ونكت جمالية، ومعاني دلالية تراد لمعرفة مقصود الآية تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال[٦].

وتتجلى الدقة فِي التعريف والتنكير فِي استغناء الأعلام عن أداة التعريف

---

(١) ينظر: فن التحرير العربي: ٦٠؛ وينظر: نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر: ٥٦.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٨/٢ ؛ ومعجم المصطلحات البلاغية: ٢٨٢/٢.

(٣) ينظر: فن التحرير العربي: ٦٠؛ وينظر: البلاغة العربية: ٣٩٧/١.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية: ٢٨٢/٢؛ والطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٨/٢.

(٥) ينظر: البلاغة العربية: ٣٩٨/١، ٣٩٩.

(٦) ينظر: جماليات السياق القرآني: ٥٦.

ولكنها تحمل معنى التنكير فِي بعض المواقع، وكذلك فإنّ الأسماء المنكرة إذا سبقت بأداة نداء، وكانت مقصودة لا تحتاج إلى تنوين التنكير؛ لأنّها تصبح دالة على معرفة، وأكثر الأسماء يلحقها التعريف والتنكير، ولكل واحد منهما معانٍ دقيقة متصلة بأسرار البلاغة القرآنية[1].

وإنّ مجيء لفظ فِي القرآن معرفة، ومجيء لفظ آخر نكرة، ومجيء لفظ معرفة فِي موضع ونكرة فِي موضع آخر لم يكن مصادفة قرآنية، وإنّما هُوَ مقصود ومرتب ومتناسق ومراد فِي كُلّ موضع ورد فيه لأغراض إعجازية بلاغية للقرآن الكريم، ويجيء اللفظ فِي كُلّ حالة من حالاته التعريفية والتنكيرية لينسجم مع السياق الذي ورد فيه ويتناسق معه، وإنّ تدبر السياق فِي الآية يقود إلى معرفة الحكمة من ذَلِكَ، وسر اختيار اللفظ معرفة أو نكرة[2].

ومن أمثلة استغناء الأعلام عن أداة التعريف، ولكنها تحمل معنى التنكير قول القائل: «قلم الذي زارني صباحاً» و«كتاب الرجل»[3].

ومن الأسماء المنكرة التي سبقت بأداة نداء «يا رجل» تخاطب رجل بعينه[4].

وترد بعض الألفاظ نكرة فِي موضع من القرآن ومعرفة فِي موضع آخر، مثل قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[5]، فوردت

(١) ينظر: فن التحرير العربي: ٦٠؛ وينظر: الطراز لأسرار البلاغة: ٨/٢.

(٢) ينظر: ري الضمآن فِي بيان القرآن: ١٣.

(٣) البلاغة الميسرة: ٣٩٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩٧.

(٥) سورة مريم، الآية: ١٥.

لفظة (سلام) نكرة فِي قصة يحيى، أمّا فِي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[1]، ووردت لفظة (السلام) هنا معرفة، فوراء سر التنكير والتعريف فِي الآيتين يبيّنه اختلاف سياق الآيتين، فإنّ تنكير السلام فِي قصة يحيى عليه السلام؛ لأنّه وارد من جهة الله تعالى، وأنّ سلام من جهة الله مغن عن كُلّ تحية، ولذا لم يرد السلام من جهة الله إلاّ منكراً، كقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾[5]، نرى أنّ أي سلام ورد فِي القرآن من جهة الله تعالى كاف لتحقيق ما يطلبه العباد من أمن أو تحية، أمّا تعريف السلام فِي قصة عيسى عليه السلام؛ لأنه ليس وارداً من جهة التحية من الله عز وجل، وإنّما ورد على لسان عيسى الطفل فِي دعائه لنفسه، مع إنهما وردا فِي السورة نفسها، لأنّ سياق الآية الأولى يختلف كما قلنا عن سياق الآية الثانية[6].

فضلاً عن ذَلكَ أنّ سلام التحية يكون ابتداءً فيكون نكرة، وسلام الوداع يكون انتهاءً فيكون معرفة لرجوعه إلى الأول، ففي سورة مريم جيء (سلام) نكرة أولاً ثم جيء (السلام) معرفة، واتباع السلام الرحمة فِي

---

(١) سورة مريم، الآية: ٣٣.

(٢) سورة يس، الآية: ٥٨.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الصافات: ٧٩.

(٥) سورة الصافات: ١٣٠.

(٦) ينظر: البلاغة العربية: ١/٤٠٤؛ ينظر: خصائص التراكيب: ٢١٦.

الخواتم[1]. وهذا من حسن تناسق وترتيب الألفاظ؛ لأنَّه مدار الإعجاز النسقي القرآني في اختيار اللفظة وما تدل عليه من دلالات وإيحاءات يفسرها سياق النص الذي جاءت به بين الجُمل.

وَقَالَ تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ﴾[2].

فالتنكير في رضوان يفيد التقليل؛ لأنّ المعنى وقليل من رضوان الله أكبر من نعيم (أي: نعيم يعيشونه مقابل الرضوان) لا يساوي شيئاً فهو قليل بحق رضوان الله تعالى، وهذا من روائع الإعجاز النسقي للنص القرآني، وسياق الآية يلحظ في معنى هَذَا التنكير؛ لأنّ القليل من الله كثير وكثير[3].

وَقَالَ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[4].

وَفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[5].

---

(١) ينظر: صُبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٦/٢٢١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

(٣) ينظر: خصائص التراكيب: ٢١٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.

فقد جاء لفظ (بلد) نكرة فِي الآية الأولى ومعرفة فِي الآية الثانية، وجاء هَذَا الاختلاف تبعاً لاختلاف سياق الآيتين، فنكر فِي الآية الأولى؛ لأنّ البلد كَانَ مكاناً قفراً، وَهَذَا قبل بناء الكعبة، فطلب منه أن يجعله بلداً وآمناً وكان ذَلِكَ عند ترك هاجر وإسماعيل (عليهما السلام) فِي وادٍ غير ذي زرع[1]. أمّا فِي الآية الثانية فقد كَانَ هَذَا الدعاء بعد عودته وسكنه به، وبعد بناء الكعبة، فكان بلداً فطلب له الأمن[2] هذا التنكير حددهُ سياق النسق الذي جاءت به الآيات وترتيبها وتناسقها من حيث الأحداث، حتى أضفى بعداً دلالياً وجمالياً للآية وإعجازها البلاغي.

إذن فالتعريف والتنكير جاء تبعاً لسياق موضوع الآية.

**١- أهمية التعريف وقيمه الدلالية:**

إنّ التعريف له أهمية بيانية وقيم دلالية داخل سياق الآيات القرآنية؛ لأنّ مفهوم التعريف يدل على التعيين، وأنّ هَذَا المعنى لا يتحقق إلاّ بالنسبة إلى المخاطب، لا إلى الصيغة اللغوية التي يأتي بها التعريف، فالصيغة اللغوية لا تشمل كُلّ المعارف، إذ لا يوجد معنى التعريف بهذا الاعتبار إلاّ فِي الأسماء التي تكون أول أمرها نكرات، ثم يدخل عليها ما تعرف به وَهَذَا إلاّ يخرج عن التعريف بـــ(أل) والتعريف بالإضافة، أمّا إذا ارتبط التعريف بالمخاطب وبالشيء المراد تعيينه، فإنّه يشمل كُلّ طرق التعريف، من خلال الإدراك الذهني للأشياء، والطرق التي يتبعها أسلوب القرآن لذلك[3].

---

(١) ينظر: أسرار التكرار فِي القرآن: ٣٥؛ وينظر: جماليات السياق القرآني: ٥٧.

(٢) ينظر: أسرار التكرار فِي القرآن: ٣٥؛ وينظر: جماليات السياق القرآني: ٥٧.

(٣) ينظر: التعريف فِي البلاغة العربية: ٢٩.

وإنّ أدوات التعريف لا تكون قيمها الدلالية لها وظيفة واحدة، بل اثنتان، الأولى هُوَ تعيين شيء ما، مثل قوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾[1] إذا كَانَ المشاهد مستحضراً فِي القلب، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2] أو يكون المشاهد معين، مثل: (أنت استرقتني بإحسانك).

والوظيفة الثانية التعميم، أي: تعميم الخطاب، كقوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

وأغراض التعريف وقيمه الدلالية كثيرة منها[3]:

**١- إلقاء المهابة فِي نفس السامع:**

كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[5].

**٢- وتمكين المعنى فِي قلب المخاطب:**

قَالَ تعالى: ﴿ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾[6].

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٧.

(٢) سورة الإخلاص، من الآية: ١.

(٣) ينظر: البلاغة الميسرة: ٣٨٩.

(٤) سورة الأنعام: ٣٠.

(٥) سورة الحشر: ٢٢.

(٦) سورة الكهف: ٣٨.

**٣- ومنها التلذذ والاطمئنان والاستئناس:**

قَالَ تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[1].

وَقَالَ تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

**٤- الاستعطاف:**

قَالَ تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3].

**٢- تعريف المسند والمسند إليه:**

إنّ أساس التركيب النحوي فِي الجملة المفيد أو الكلام التام هُوَ الإسناد، وَهُوَ الرابط المعنوي بين أجزاء التركيب، والعلاقة الروحية التي تقوم بين معاني الكلمات على اختلاف وامتداد سياقاتها بدأً من طرفي الجملة وانتهاءً بسياق الفقرة والنص، وهذه العلاقات الروحية هي الوجوه التي يتصور بها المعنى والضروب التأليفية بين معاني الكلمات، فلابد أن يكون لكل كلمة تعلّق بالأخرى على السبيل الذي به يفيد الكلام تمام الفائدة[4].

---

(١) سورة فاطر: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران: ٥٧.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٤) ينظر: الدلالة والمعنى: ٢٢٢؛ وينظر: البلاغة العربية: ١٤٠؛ وينظر: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني: ٥٣.

فالإسناد دلالة تركيبية فِي العربية الفصحى، وَقَدْ يوجد فِي اللفظ ما يدل عليه، كحركة الإعراب، وضمير الفصل بين المبتدأ والخبر[1].

وتتألف الجملة المفيدة أو الكلام التام من رابطين يُعبّر عنهما باللفظ، ويسميان بركنا الجملة، وهما[2]:

١- السند إليه، ويسمى محكوماً عليه، ويسمى عند علماء المنطق موضوعاً.

٢- المسند، ويسمى محكوماً، ويسمى عند علماء المنطق محمولاً.

ويُلحق بالجملة المفيدة توابع المسند إليه والمسند إن وجدت، فمنها المفاعيل والأدوات، وما يدل على القيود لأركان الجملة، كالصفات والأحوال والقيود الزمانية والمكانية، وكل ما يلحق أو يزيد فِي الجملة على علاقة الإسناد إنّما ينشئهما المتكلم للبيان، وإزالة إيهام وغموض قَدْ يعتريان المعنى الدلالي للجملة إن لم ينشئ المتكلم تلك العلاقة الذهنية التي تربط بينهما[3].

إذا فالإسناد نواة الجملة، ومحور كُلّ العلاقات الأخرى، لأنّ فِي استطاعته وحده تكوين جملة تامة ذات معنى دلالي متكامل وموضوع مرتبط بما قبله وبعده، وَهَذَا ما نجده فِي آيات الذكر الحكيم، إذ يكوّن الإسناد علاقات متشعبة بين الآيات والسور القرآنية، تؤلف وحدة موضوعية منطلقها نواة الآية الواحدة مع نواة الآية الثانية ثم النص كله ارتباطاً بالفضلة وهي القيود المتعلقة بركني الآية والنص القرآني[4].

---

(١) ينظر: الدلالة والمعنى: ٢٢٣؛ وينظر: البلاغة العربية: ١٤٠.

(٢) ينظر: البلاغة العربية: ١٤٠، ١٥٥؛ وينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: ٤/١٠.

(٣) ينظر: البلاغة العربية: ١٤٠، ١٤٣؛ وينظر: الدلالة والمعنى: ٢٢٣، ٢٢٤.

(٤) ينظر: الدلالة والمعنى: ٢٢٣.

**٢- تعريف المسند إليه والمسند:**

**أ - تعريف المسند إليه:**

إنّ حق المسند إليه أن يكون معرفة؛ لأنَّه الأصيل والمحكوم عليه فِي الجملة، والمحكوم عليه ينبغي أن يكون معلوماً ليكون الحكم مفيداً، والحكم على المجهول لا يفيد، لذلك فإنّه يعرف لتكون الفائدة أتم، وكمال تخصيص المسند إليه يكون بالتعريف(١).

وتعريفه إمّا بالإضمار، أو بالعلمية، أو بالإشارة، أو بالموصولية، أو بأل، أو بالإضافة، أو بالنداء.

**١- تعريف المسند إليه بالإضمار(٢):**

أ - إن كَانَ الحديث مقام تكلم، قَالَ النبي ﷺ: «أنا النبيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب»(٣).

ب- أو كان الحديث مقام الخطاب، قال تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٤).

ج- أو كان الحديث مقام الغيبة، لكون المسند إليه مذكوراً، أو في حكم المذكور ولابد من تقدّم ذكره، إمّا لفظاً: كقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ

---

(١) ينظر: الإيضاح فِي علوم البلاغة: ٩/٢؛ وينظر: جواهر البلاغة: ١٠٨؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٣٨٧.

(٢) ينظر: جواهر البلاغة: ١٠٨، ١٠٩؛ وينظر: علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع): ١١٢، ١١٣؛ وينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: ٧٢/٢؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٣٨٩.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي: ٨٢/٢ برقم ٧٤٢، باب البراء بن عازب.

(٤) سورة المائدة، من الآية: ١١٦.

﴿يَحْكُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[1]، أو معناً: كقوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2]، أي العدل أو دلّت عليه قرينة، كقوله تعالى: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾[3]، أي: الميت.

**٢- تعريف المسند إليه بالعلمية**[4]:

يؤتى بالمسند إليه علماً لإحضار معناه بعينه في ذهن السامع ابتداءً باسمه الخاص ليمتاز عمّا عداه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[5].

**٣- تعريف المسند إليه بالموصولية**[6]، وله أغراض كثيرة منها:

يؤتى بالمسند إليه اسم موصول إذا تعين طريقاً لإحضار معناه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[7]، وتكون هنا للتنبيه على خطأ المخاطب. وَقَدْ يكون للتفخيم، قَالَ تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[8].

---

(١) سورة يونس: ١٠٩.

(٢) سورة المائدة: ٨.

(٣) سورة النساء: ١١.

(٤) ينظر: علم البلاغة البياني: ١١٤؛ وينظر: جواهر البلاغة: ١١١.

(٥) سورة البقرة: ١٢٧.

(٦) ينظر: جواهر البلاغة: ١١٤؛ وينظر: علوم البلاغة: ١١٧؛ وينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: ١٠٤/٤.

(٧) سورة الأعراف: ١٩٤.

(٨) سورة طه: ٧٨.

أو لزيادة تقرير الغرض المسوغ له، كقوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾[1].

**٤- تعريف المسند إليه بالإشارة[2]:**

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة إذا تعين طريقاً لإحضار المشار إليه في ذهن السامع حسّاً، ولا يعرف المتكلم والسامع اسمه الخاص، ولا معيناً آخر، كقول القائل، مثلاً: (أتبيع لي هذا)، وتعريفه هنا بالإشارة لتميزه أكمل تمييز.

أمّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك، فله أغراض أخرى منها[3]:

لبيان حال القرب أو البعد أو التوسط، تعظيم درجة بالقرب، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[4]، أو جعل القرب ذريعة للتحقير قَالَ تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[5]، أو بيان القرب للاستغراب، قَالَ تعالى: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾[6]، أو بيان حاله بالبعد، قَالَ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾[7]، أو التحقير بالبعد، قَالَ تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ

---

(١) سورة يوسف: ٢٣.

(٢) ينظر: معاهد التخصيص عَلَى شواهد التلخيص: ١٠٧/١؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٣٩٠.

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٩/٢؛ وينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: ٩٧/٤، ٩٨، ٩٩؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) سورة الإسراء: ٩.

(٥) سورة العنكبوت: ٦٤.

(٦) سورة البقرة: ٢٦.

(٧) سورة ق: ٢٠.

ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾[1]، أو تعظيم حاله بالبعد، قَالَ تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[2].

**٥- تعريف المسند إليه بألـ[3]:**

يؤتى بالمسند إليه معرّفاً بألـ العهدية، أو أل الجنسية لأغراض.

- ألـ العهدية، وتدخل على المسند إليه الإشارة إلى فرد معهود خارجاً بين المتخاطبين وعهده يكون إمّا بتقدم ذكره صريحاً، كقوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾[4].

أو بتقدم ذكره تلويحاً، قَالَ تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾[5].

أو بحضوره بذاته، قَالَ تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[6].

- ألـ الجنسية، وتسمى لام الحقيقة، تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة: هي إمّا ما يشار بها إلى الحقيقة، بقطع النظر عن عمومها وخصوصها، كقول القائل: (أهلك الناس الدينار والدرهم).

أو لام الحقيقة ضمن فرد مبهم، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ

---

(١) سورة الماعون: ٢.

(٢) سورة البقرة: ٢.

(٣) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: ٤/١١١؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٣٩٤، ٣٩٥؛ وينظر: علم البلاغة: ١١٨، ١١٩، ١٢٠؛ جواهر البلاغة: ١١٦، ١١٧.

(٤) سورة المزمل: ١٦.

(٥) سورة آل عمران: ٣٦.

(٦) سورة المائدة: ٣.

شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[1].

أو لام الحقيقة ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة بمعونة القرنية (حالية)، قَالَ تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾[2].

أو قرينة (لفظية)، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[3].

**٦- تعريف المسند إليه بالإضافة[4]:**

إنّ هيئة التركيب الإضافي موضوعة للاختصاص المصحح، فإذا استعملت فِي غير ذَلِكَ كانت مجازاً كما فِي الإضافة لأدنى ملابسة.

ويتضمن تعريف المسند إليه تعظم شأنه المضاف أو المضاف إليه أو غيرهما قَالَ تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[5].

أو يتضمن استهزاءً وتهكّماً، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾[6].

**٧- تعريف المسند إليه بالنداء[7]:**

يؤتى المنادى به إذا لم يعرف للمخاطب عنواناً خاصاً، والمنادى ليس من أنواع المعارف إلاّ إذا قصد بالمنادى نكرة غير مقصودة، فمناداها أضاف إليها

---

(١) سورة النساء: ٣٠.

(٢) سورة الأنعام: ٧٣.

(٣) سورة العصر: ٢.

(٤) ينظر: الإيضاح فِي علوم البلاغة: ٣٣/٢؛ وينظر: جواهر البلاغة: ١١٧، ١١٨.

(٥) سورة الحجر: ٤٢.

(٦) سورة الشعراء: ٢٧.

(٧) ينظر: جواهر البلاغة: ١٢٠؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٣٩٦، ٣٩٧؛ وينظر: البيان القرآني فِي تفسير رموز الكنوز: ١٠٩.

شيئاً من التعريف، فيأتي بالمسند إليه لأغراض منها:

– إذا لم يُعرف للمخاطب عنواناً خاصاً، قَالَ تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾[1]، وقول: (يا رجل)، (يا فتى).

– الإشارة إلى علة ما يُطلب منه، قَالَ تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾[3]، وقول: (يا غلام اكتب الدرس). فمناداته تعني أننا عددناه بنفسه ولو لم نسمه.

**ب– تعريف المسند**[4]:

يعرف المسند لإفادة السامع حكماً على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله لإحدى طرق التعريف، وبيان ذَلِكَ أنّ الشيء يكون له صفتان من صفات التعريف يعلم المخاطب اتصافه بإحداهما دون الأخرى فتخبره باتصافه بها فتفقده أو تملي عليه ما كَانَ يجهله من اتصافه بالأخرى، قَالَ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[6]، (وذاك نقيب الأشراف).

---

(١) سورة الزخرف: ٦٨.

(٢) سورة الزمر، من الآية: ١٠.

(٣) سورة الزمر: ١٦.

(٤) ينظر: الإيضاح فِي علوم البلاغة: ٢١٩/٢، ١٣٠، ١٣١؛ وينظر: جواهر البلاغة: ١١٥؛ وينظر: علوم البلاغة: ١٢٢، ١٢٣؛ وينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: ٥٦/٢، ٥٧؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٤٢.

(٥) سورة الأعراف، من الآية: ٤٢.

(٦) سورة المائدة، من الآية: ٨٥.

ويعرف المسند أيضاً لإفادة قصره على المسند إليه (حقيقة)، كقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[1]، فقصر التوحيد لله تعالى، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2] فقصر الإخلاص لعباد الله، أو قصره (ادعاءً) مبالغة لكمال معناه في المسند إليه، إذا كَانَ المسند معرفاً بلام الجنس، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم﴾[5]، فلفظ (حليم) و(المكرمين) و(الصابرون) معرفات بأل إلاّ الجنس.

**٣- تنكير المسند إليه والمسند:**

**أ - تنكير المسند إليه:**

النكرة هي الاسم المقابل للمعرفة، ويأتي المسند إليه نكرة؛ لأنّ قصد المتكلم إفادة معنى النكرة، أو تكون النكرات تدل على تحديد عام لكن لا تدل على ذات معينة، ولا على ذات محددة[6]، كقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾[7]، وذكر المفسرون أنّ ذَلِكَ الرجل هُوَ (حبيب النجار)

---

(١) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٢) سورة الصافات: ٤٠.

(٣) سورة هود: ٧٥.

(٤) سورة الذاريات: ٢٤.

(٥) سورة الزمر، من الآية: ١٠.

(٦) ينظر: خصائص التركيب: ٢١٣؛ وينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: ٤١/٢؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٣٩٧.

(٧) سورة يس: ٢٠.

غير إنّ الغرض لم يتعلق به معيناً[1]. ويجيء بالمسند إليه نكرة لعدم علم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقة أو ادعاءً، إذا لم يعرف ما يُعينه من علم أو صلة أو نحوهما[2]، قَالَ تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾[3]، أو قول القائل: (جاء هنا رجل يسأل عنك).

وَقَدْ يكون التنكير لأغراض أخرى هي[4]:

١- **للإفراد:** قَالَ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[5]، أي خلق كُلّ فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة، وهذا حددهُ سياق المعنى الذي جاءت به كلمة (دابة).

٢- **النوعية:** قَالَ تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[6]، يعني: أي نوع من الحياة المتطاولة فهم أحرص الناس على أن يزدادوا إلى حياتهم الماضية حياة فِي المستقبل، حتّى لو كانت حياة حقيرة مهانة، وهذا من جمال نسق نوعية مفردة التنكير (حياة). قَالَ تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾[7]، والمقصود نوع خاص من أنواع الغشاوة، غير ما

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٧٦/٣، ٧٧؛ وينظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٨٢/٤.

(٢) ينظر: جواهر البلاغة: ١٢١؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٣٩٧.

(٣) سورة الأعراف، من الآية: ٥٣.

(٤) ينظر: الإيضاح فِي علوم البلاغة: ٣٥/٢؛ وينظر: جواهر البلاغة: ١٢١؛ وينظر: علوم البلاغة: ١٢٨؛ وينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فِي علوم البلاغة: ٩٤/١؛ وينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: ٤١/٢.

(٥) سورة النور: ٤٥.

(٦) سورة البقرة، من الآية: ٩٩.

(٧) سورة البقرة، من الآية: ٧.

يتعارفه الناس، ذَلِكَ هُوَ غطاء التعامي عن الحق، والإعراض عن آيات الله وهذا حدده مجيء نسق سياق كلمة (غشاوة).

٣- **عدم التعيين**: قَالَ تعالى: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾[١]، و لم يعين أي أرض، أهي أرض مستوية، أو أرض وادي، أو قاع البئر.

٤- **التعظيم والتحقير**[٢]: قَالَ تعالى: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٣]. فالمفهوم من سياق الآية أنّ تنكير الحرب جاء للتعظيم والتهويل.

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[٤]، هنا يظهر السياق استحقار الظن والشك فِي النفس، يكون التعظيم يراعى فيه الحال والشأن كعلو المرتبة والتحقير كذلك.

٥- **التكثير والتقليل**[٥]: إنّ لفظ النكرة غير مقصود فيحتمل الزيادة ويحتمل النقص، لأنه غير محدد، والذي يعين على ذَلِكَ هُوَ السياق.

قَالَ تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾[٦]، أي: رسل كثيرة.

وَقَالَ تعالى: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾[٧]، فقد نكر المسند إليه، وَهُوَ (شيء) لقصر إفادة أنّه شيء وقليل.

---

(١) سورة يوسف، من الآية: ٩.

(٢) ينظر: علوم البلاغة: ١٢٨.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٩.

(٤) سورة الجاثية: ٣٢.

(٥) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: ٤٢/٢.

(٦) سورة فاطر: ٤.

(٧) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٤.

والتكثير المراعى فيه الكميات والمقادير، كالمعدودات والموزونات، والتقليل كذلك.

٦- **العموم بعد النفي**[١]: إنّ النكرة فِي سياق النفي تعم، قَالَ تعالى: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾[٢]، يعني لم يأتنا أي إنسان يمكن أن يتصف بصفة البشرى، فكأنّ نوع من التعميم ويستفاد من مجيء النكرة فِي حيز النفي.

٧- **وإخفاء الأمر**[٣]: قَالَ تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ﴾[٤] أي: إنّ الذين قالا من جنس الرجال لكنه غير محدد، وَقَدْ نفي أمرهما.

ونحو: (قَالَ رجل إنك انحرفت عن الصواب) تخفي اسمه حتّى لا يلحقه أذى.

**ب- تنكير المسند**[٥]:

ينكر المُسند لعدم الموجب لتعريف، لأمور هي:

١- **لقصر العهد أو الحصر**: قَالَ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٦]. ونحو: (أنت أمير وَهُوَ وزير).

---

(١) ينظر: المنهج الواضح للبلاغة: ٤٢؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٣٩٧.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ١٩.

(٣) ينظر: البلاغة الميسرة: ٣٩٨.

(٤) سورة المائدة: ٢٣.

(٥) ينظر: الإيضاح فِي علوم البلاغة: ١٢٨/٢؛ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فِي علوم البلاغة: ١٨٣؛ ينظر: البلاغة الميسرة: ٤٠٦.

(٦) سورة الزمر، من الآية: ٣٠.

٢- **لإفادة التفخيم أو التنبيه:** قَالَ تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١] أي: هو هدى، فتنكير المسند (هدى) أفاد تفخيم وتعظيم هداية القرآن وتفخيمها وأنَّها بلغت درجة لا يمكن إدراك كنهها. وهذا من جمالية النسق والترتيب والتناسب في هذا القران العظيم بسبب سياق مجيء (الهدى) الذي هو سياق للمتقين. وَقَالَ تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

٣- **ولقصد التحقير:** قَالَ تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[٣]. وَقَالَ تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[٤]، ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[٥]. ونحو: (ما خليل رجل يذكر).

٤- **ولاتّباع المسند إليه في تنكيره:** قَالَ تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[٦]. وَقَالَ تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾[٧]، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٨]. ونحو: (رجل واقف بالباب).

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢.
(٢) سورة الحجّ: ١.
(٣) سورة غافر، من الآية: ١٨.
(٤) سورة السجدة، من الآية: ٤.
(٥) سورة هود، من الآية: ٧٨.
(٦) سورة يوسف، من الآية: ٧.
(٧) سورة النساء، من الآية: ١٢.
(٨) سورة الأحقاف، من الآية: ١٠.